المبحث العاشر

أخطر مظاهرة..
قبل ثلاثة أيام من المعركة

من سخرية الأقدار وأثناء تواجدى فى منزل الرئيس السادات يوم الأربعاء 3 إكتوبر الساعة 12 ظهرا ، وكان هذا الاجتماع الهام من أجل تحديد المهام النهائية لبدء المعركة ، حيث تقرر نهائيا وبصفة سرية للغاية ان ساعة الصفر هى يوم السبت 6 أكتوبر ، على أن يصدر المهام المطلوبة الخاصة بهذا الموعد المصيرى للأمة – وجدت موظفا من الرئاسة يندفع نحوى ومعه رسالة وقدمها لى بانفعال ظاهر وكانت الرسالة من وزير الداخلية يخطرنى فيها بآخر موقف لمظاهرات الطلبة فى جامعة القاهرة وإنها مندفعة فى السير فى اتجاه منزل الرئيس... وتردد هتافات معادية للرئيس السادات والحكومة ، فاتصلت بوزير الداخلية وأبلغته أن يتعامل مع المظاهرة وفق الأسلوب المتفق عليه وهو الهدوء التام – دون العنف حتى لو استخدم المتظاهرون «الطوب» ضدهم وأخطرته بأن تقف جميع عربات الشرطة المدرعة صفوفا وتقطع الطريق إلى منزل الرئيس، وبعد لقائى مع الرئيس طلبت منه ألا يتواجد فى منزله ،بل من الأفضل أن يكون فى استراحة القناطر بعيدا عن المظاهرات ، حتى يمكن له متابعة الأعمال الحاسمة بهدوء خلا مدة الـ 48 ساعة التى سبقت ساعة الصفر فى السادس من أكتوبر ، وانتقل الرئيس بالفعل إلى القناطر ثم إلى قصر الطاهرة ، وفى يوم 6 أكتوبر ذهب إلى القيادة العسكرية العليا لقيادة المعركة.

* تفجرت أزمة طائفية قبل الحرب بين الرئيس السادات والبابا شنودة ، ووقعت بعض الأحداث بين المسلمين والأقباط ، وأتذكر أنها كانت ضمن

الأزمات الحادة التى اصطنعت فى الجبهة الداخلية قبل حرب أكتوبر ، فى محاولة لإثارة الفتنة الطائفية ، فحرقت بعض الكنائس فى صعيد مصر بأيدى مجرمة .. وحدثت محاولة وقيعة بين الرئيس السادات وبين البابا شنودة عن طريق نقل أخبار غير صحيحة للرئيس ،وكنت كمسئول أراقب تلك الفتنة ومن ورائها ..ونحن فى أصعب الأيام فكرا وعملا وحذرا فى إعداد الدولة للحرب ، فكنت أرحب بالمظاهرات لأننا نستثمرها إعلاميا من أجل خداع العدو بأننا لا نريد الحرب ...أما أن نرى فتنة طائفية فى الجبهة الداخلية فهذا أمر خطير ويحتاج إلى معالجة سريعة ،فاتصلت بالبابا شنودة سرا واتفقت معه على عقد اجتماع فى منزلى، وحضر بالفعل ومعه سكرتيرة ميشيلى جرجس والذى أدى دور سريا ومهم فى هذا الموضوع ، وكان الأنبا شنودة قد حمل حقائبه فى إحدى السيارات للتوجه إلى الدير للإقامة فيه بعيدا عن الأحداث المؤلمة ، وبدا الاجتماع وكنت قد أحضرت مراجع إسلامية تتحد ث ضد مزاعم مثيرى الفتنة لأبين لهم أن حرق الكنائس ليس من الإسلام وبالأدلة القرآنية والمواقف التى فعلها وأوصى بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده ،وبعد حديث ودى مطول مع الأنبا شنودة سألته عن سبب الخلاف مع ا لرئيس السادات ؟ فاتضح أن هناك بعضا من المتطرفين المسلمين والأقباط يسعدهم هذا الخلاف ،وبعد ساعة واحدة من الاجتماع اتفقت مع البابا أن يكتب خطابا للرئيس السادات طالبا المقابلة لشرح الموقف .. وكتب البابا شنودة الخطاب ... وطلبت الرئيس السادات تليفونيا وأخبرته أن البابا شنودة معى ففوجئ وقلت أنه كتب خطابا ويطلب موعدا لشرح الموقف وإزالة سوء الفهم الحادث ،وانتهى الاجتماع باقتراح قدمته للرئيس ..بأن يجتمع غدا مع البابا شنودة والمجلس الملى والمطارنة وأن يكون الحديث مباشرا .. وبعد هذا الاجتماع يعقد اجتماع لكبار أئمة المسلمين فقط ، وكان الهدف من الاجتماعين المنفصلين تحقيق الهدف الوطنى بعد شرح الموقف السياسى مع إسرائيل ... وأهمية وحدة الجبهة الداخلية، وهنا اقترح الرئيس وكذلك البابا شنودة بأن يذهب الرئيس السادات إلى

الكنيسة ويلقى خطبة ، وحضرنا مع الرئيس فى الكنيسة وألقى البابا شنودة خطبة رائعة ، وبعد خطبة البابا سمع الرئيس الآذان من مسجد مجاور للكنيسة فقرر أن يصلى صلاة الجماعة فى الكنيسة وهكذا انتهت تلك الفتنة .

* قبل ساعة الصفر بيوم واحد أى يوم 5 أكتوبر تمت خطوة دستورية ممتازة تطبيقا لمبدا تعاون السلطات التنفيذية والتشريعية حينما أصدر الرئيس السادات قرارا هاما بتشكيل لجنة العمل الوطنى العليا وكلفنى برئاستها ،وتضم فى عضويتها : رئيس مجلس الشعب ونواب رئيس الوزراء ووزير الإعلام والخارجية ومستشار الأمن القومى ومدير المخابرات ،وكان سكرتير اللجنة الأستاذ عبد العزيز الشافعى .... وفى نفس الوقت أى قبل المعركة بساعات أخطرنى الرئيس السادات بأن وزير شئون مجلس الوزراء سيكون حلقة الاتصال بين مقر القيادة العسكرية وبينى للاتصال المباشر بشأن أى أخبار يرسلها الرئيس لى أثناء قيادته المعركة من غرفة العمليات ، والقرارات السريعة الحازمة التى يصدرها للقيادة العسكرية حسب تطور الأحداث .. على أن أبلغ بها من خلال خط تليفوني ساخن سرى للغاية ... لإذاعة ما هو مناسب للإذاعة ولكى يتابع الشعب والعالم تطورات المعارك... وقال الرئيس انور السادات فى اجتماعه معى« اننى سأكون فى الساعة المحددة يوم السبت فى مقر القيادة العسكرية العليا للتفرغ نهائيا لهذه المهمة الخطيرة ،أما العمل الوطنى والمدنى الخاص بالداخل وتطورات الموقف ورد الفعل الإعلامى ورد فعل الحكومات الأجنبية عن المعارك مع إسرائيل ..فأنت رئيس لجنة العمل الوطنى العليا ،وعليك أن تتصرف فيها وتصدر التعليمات الحاسمة ، وهذه مسئوليتك الدستورية فأنت رئيس هذه اللجنة التى ستظل فى حالة انعقاد دائم ليلا ونهارا ،وأنت مؤهل لهذا العمل الصعب فقد تخرجت من كلية الأركان حرب وحاربت فى 1948 ولك خبرة سياسية فى مراكز الدولة من 52-1973» فطمأنت الرئيس بأن كل الترتيبات جاهزة والإعداد جيد والله معنا .

– حسب الوقائع التاريخية فإنه حتى ليلة المعركة لم يكن يعلم عن ساعة الصفر أحد من المدنيين وبعض الوزراء ،بل أرسلت لهم التعليمات يوم السبت 6 أكتوبر بالتواجد وعدم الانصراف من مكاتبهم ، وأن يقيم كل منهم فى وزارته وينتظر التعليمات مع تنفيذ ما سبق ان تقرر فى اجتماعات مجلس الوزراء فى إعداد الدولة للحرب والتى كانت تعقد أسبوعيا وتستمر تسع ساعات أحيانا ، ونعلن بعد الاجتماع أنه تم بحث سياسة وزارة من الوزارات أوحل مشكلة من المشاكل ، بينما حقيقة الأمر هى تخطيط إعداد الدولة للحرب وتوفير كل متطلبات المعركة والحمد لله تم تنفيذ كل شىء حسب التخطيط الموضوع له بنجاح .